محاورات سقراط

بقلم: د. أحمد فؤاد الأهوانى

شيخ الفلاسفة ، ومعلم أفلاطون ، وواضع الفلسفة على أسس راسخة سليمة من العقل والمنطق ورب المذهب العقلى فى تاريخ الفكر ، ذلك هو سقراط . اسمه على كل لسان منذ خمسة وعشرين قرنا من الزمان ، يضرب به المثل فى الحكمة والمعرفة ، ذكره شوقى فى قصائده ، وردد العرب آراءه فى كتبهم ، حتى أضحت جزءا من تراثهم الثقافى .

وعلى الرغم من هذه الشهرة الكبيرة والصيت الذائع ، فان تحديد فلسفته على وجه اليقين أمر عسير جدا . وذلك يرجع الى سبب أساسى أنه لم يكتب فى حياته حرفا واحدا ، وانما ردد تلاميذه آراءه بعد وفاته ، وأجروها على لسان سقراط . وظهر بعض المحدثين فى فرنسا ينكرون صحة وجود سقراط أصلا ويزعمون أن أفلاطون أكبر تلاميذه ، وهو الذى كتب المحاورات التى كانت تجرى بين سقراط وأصحابه ، انما تخفى وراء هذا الاسم وجعله ينطق بما يريد أفلاطون أن يقوله ، لأسباب «فنية» ، حيث ان المحاورة تتخذ هيئة تشبه المسرحيات الى حد كبير ، وكانت تمثل على المسرح بالفعل فى الزمن القديم . غير أن هذا الافراط فى الشك ليس له ما يبرره ، لأن أفلاطون ليس التلميذ الوحيد لسقراط ، وقد كتب غيره نفس المحاورات ولكن بطريقة أخرى ، كما هى الحال فى مذكرات زنيوفون ، كما أن أرسطو يذكر آراءه فى أكثر من كتاب وفى أكثر من موضع وبخاصة فى كتاب الأخلاق ، وكان أرسطو قريب العهد من سقراط ، لم يره طبعا ، ولكنه رأى معظم تلامذته وبخاصة أفلاطون .

عاش سقراط اذن بالفعل ، ولد سنة ٣٩٩ وتوفى سنة ٤٧٠ ، أى أنه بلغ سبعين عاما ، أمضاها فى القرن الخامس قبل الميلاد ، فى أثينا ، أزهى عصور الثقافة الاغريقية ، وفى أزهر مدن الاغريق.

أثر سقراط فى تاريخ الفكر الفلسفى كله أثرا بالغا لا يمحى ، فهو صاحب الطريقة المعروفة باسمه حتى اليوم ، الطريقة السقراطية ، المتبعة فى التعليم الفلسفى بوجه عام ، وفى التربية بوجه خاص . وهو صاحب مذهب فى الفلسفة وفى الأخلاق

لا يزالان مما يؤخذ بهما الى الآن ، أو على الأقل يؤخذ بروحهما .

لم يكن سقراط من النبلاء ، على عكس أفلاطون ، فهو مواطن أثيني رقيق الحال ، من طبقة الشعب . ويروى أن أمه كانت — قابلة — ، فلما نبغ سقراط وكانت طريقته «توليد» المعانى من النفس ، قيل انه كان ينسج على منوال أمه ، من جهة أن صناعتها التوليد . وذكر أنه كان يتكسب فى صدر شبابه من العمل بالنحت وصناعة التماثيل وليس ذلك ببعيد ، لأن مناقشاته المذكورة فى المحاورات تدل على معرفة وثيقة بتلك الصناعة نتيجة المزاولة الفعلية . وأكبر الظن أن هذه النشأة من صميم الشعب هى التى جعلت فلسفته «شعبية» انها تعبير عن روح الشعب وحياته وآماله وأهدافه المنبثقة من الخبرة العملية والأفكار الجارية بين الناس فى شتى طبقاتهم . وهذا هو سر حيوية الفلسفة السقراطية وجمالها وواقعيتها ، على عكس الفلسفات التى تجمدت داخل المدارس ، وأصبحت «نظرية» وابتعدت عن الحياة العملية ، وأضحت تعيش فى أبراج عاجية تعزل النظر عن العمل .

بدأت الفلسفة اليونانية فى القرن السادس قبل الميلاد بعيدة عن أثينا ، فى آسيا الصغرى ومدنها وبالأخص ملطية ، وفى جنوب ايطاليا حيث ظهر فيثاغورس ، وفى ايليا موطن بارمنيدس .فلما ارتفع نجم أثينا فى حكم بركليس ، وأخذت تزدهر بالأدب والفن والعلم والصناعة ، اجتذبت اليها الحكماء والمفكرين من المدن اليونانية الأخرى جاءوا يعلمون بها ، ويعرضون أفكارهم ومعارفهم ، فكان ذلك العصر بحق عصر المعلمين ، أو باللغة اليونانية « السفسطائيين » . والسفسطائى هو الماهر فى الصنعة ، سواء أكانت يدوية أم فكرية ولما كانت الديمقراطية قد انتشرت فى ذلك الحين وكانت الديمقراطية هى حكم الشعب بالشعب بطريق الممثلين عنه فى المجالس النيابية ، واحتاج الممثلون الى قوة الحجة والقدرة على الافصاح والبيان ، أصبحت الحاجة ماسة الى معلمين للخطابة والبيان ، هم جماعة السفسطائيين . عاش سقراط فى جوهم ، وعلم مثلهم ، ولكنه اختلف عنهم فى أنه لم يأخذ بمبدأ القوة أساسا للحق ، ولا بمبدأ نسبية الحق وأنه تابع لما يراه كل انسان ، كما أنه لم يتناول أجرا على التعليم .

والمأثور أن سقراط لم يتناول أجرا على التعليم لأن نظريته تذهب الى أن المعرفة موجودة فى النفس يستطيع المرء أن يستنبطها بالتوليد ، فكيف يأخذ المعلم أجرا على شىء ليس فى ملكه . قد يكون الأجر جائزا فى حالة تعليم الحرف والصناعات ، أما فى تعليم الفضائل فهذا لا يجوز . ومع ذلك فنحن نرى أرستوفان ، شاعر الملهاة المشهور ، يصوره فى تمثيلية السحب صاحب مدرسة ، لها باب يقفل عليها ، ويتجه اليها الطلبة للتعلم ، وقد كتبت هذه التمثيلية ولعبت بالفعل قبل وفاة سقراط بعشرين عاما ، ويقال انها كانت من جملة الأسباب التى أشاعت عن سقراط تهمة افساد الشباب . والمقصود بذلك تحويل آراء الشباب واثارتهم على العادات الجارية والتقاليد الموروثة . وحقا كان سقراط يغشى الشباب ويغير آفكارهم ، ولكنه لم يكن صاحب مدرسة ولا تناول أجرا على التعليم ، كما لم يعلمهم التغلب بقوة البيان لو كانت الغلبة فى سبيل الباطل . فقد كان هدفه على الدوام بلوغ الحقيقة .

وقد بدأ سقراط فيلسوفا طبيعيا ، ففى محاورة فيدون أنه قرأ كتاب أنكسا جوراسى فى العلم الطبيعى ولم يعجبه ، لأن صاحبه يصف الواقع كما هو عليه ويبين الأسباب الآلية للظواهر ولا يتعرض لأسبابها الغائية . ولذلك هجر مذهب فيلسوف العقل فى العلم الطبيعى ، وطور قوله بالعقل علة للأمور الانسانية . الحق لقد كان الاتجاه فى الفلسفة قبل سقراط نحو البحث فى الطبيعة ، أى فى العالم الخارجى ، سواء أكان عالم السماء أم عالم الأرض حتى جاء سقراط ، فوجه هذا الاتجاه نحو البحث فى الانسان ، وفى أخلاقه ، وفى نفسه . وهو هو الذى تمثل بالحكمة المشهورة التى كانت مدونة على باب معهد دلفى : « اعرف نفسك » . ولذلك قيل ان سقراط هو الذى أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض ، بمعنى تحويل الفلسفة نحو البحث فى عالم الانسان لا عالم الطبيعة .

ولاشك أن البحث الطبيعى شىء يختلف عن البحث فى الانسان ، فللبحث الأول منهج يناسبه وهو الملاحظة الخارجية والتجربة ، وللبحث الثانى منهج آخر ، هو التأمل ، أو التفكير ، أو الجدل أو الحوار . وكان الحوار بوجه خاص هو المنهج الذى اتبعه سقراط ، وهو عبارة عن مناقشة تدور بين شخصين أو أكثر ، فى هيئة سؤال وجواب ، وقد يكون السؤال سؤال استنكار أو تهكم أو استفسار أو تسليم ، فان سلم المستفسر بما يقال ترتبت على ذلك أمور ، وان سلم بما يناقضها ترتبت أمور أخرى ، ولكن لابد من التسليم بأحدهما على أى حال . وهذا النوع من الحوار كان يستخدمه السفسطائيون ، وهو صالح للبحث فى الأمور الانسانية من تقاليد وأخلاق وعقائد دينية وتشريعات دنيوية ومصالح سياسية . ويبدو أنه كان مستخدما فى أكاديمية أفلاطون ، الى أن أبطله أرسطو بمنهجه فى القياس المنطقى والبرهان .

والحوار السقراطى من هذا القبيل غير أنه اتخذ طابعا معينا تميز به ، من حيث أن سؤاله تهكم يوقع محاوره ، أو خصمه ، فى الارتباك ، ولا يبادر سقراط بالجواب ، ولكنه يستخرجه من محاوره نفسه ، أو بعبارة أخرى «يولده» من هنا سمى منهجه بالتهكم والتوليد . والنماذج من المحاورات التى كتبها أفلاطون كثيرة . بل ان أحد الموازين التى بها نميز المحاورة السقراطية التى تمثل آراء سقراط من المحاورة الافلاطونية التى تعكس فكر أفلاطون هو اتباع هذا المنهج . ان وجد واضحا كانت المحاورة سقراطية ، مثل محاورة أوطيفرون وأقريطون وبروتاجوراس وغيرها ، وان اختفى هذا المنهج وحل محله السرد ، والرواية المتصلة كما هى الحال فى « القوانين » ، كانت المحاورة أفلاطونية . هذا المنهج اذن يدعو الى أن يفكر الانسان بنفسه فى نفسه ، وأن ينعم النظر فى الآراء والمعتقدات ولا يأخذها قضايا مسلمة ، فان فعل المرء ذلك ذهبت القداسة التى تخلع على العادات والتقاليد والآراء الذائعة والمعتقدات الموروثة ، وتبين للمرء أن بعضها صحيح وبعضها الآخر فاسد ، وأنها ليست كلها حقا بل بعضها باطل ، والقول بأن قوانين الدولة ومعتقداتها باطلة يعد «ثورة» عليها ، وأكثر من يتأثر بهذه التعاليم السقراطية هم الشباب ، لأن الشيوخ بعد اتباعهم التقاليد الجارية طول عمرهم يجمدون عليها ويصعب عليهم تغييرها أو الثورة عليها . فلما أخذ سقراط ينشر تعاليمه متبعا ذلك الأسلوب الذى يثير التفكير ، ويسعى وراء الحق ، ويبتعد عن الباطل ، اتهمه أصحاب المصالح السياسية بأنه يؤلب

الشباب ويفسده ، وأنه كما جاء فى عريضة الاتهام مصدر متاعب للدولة .

ولم تكن تهمه افساد الشباب ونشر القلق فى الدولة التهمة الوحيدة التى قدمها ميليتس كاتب عريضة الاتهام ، بل أضيف الى ذلك تهمتان آخريان هما انكار آلهة اليونان ، والقول بآلهة جديدة ، ومحاورة أوطيفرون تبحث فى التقوى ، أى تقوى الآلهة ، وهى المحاورة السابقة مباشرة على محاورة الدفاع ، والتى تعد تمهيدا لها ، لأنها توضح احدى التهم الموجهة لسقراط .

ومن الموازين التى يعتمد عليها النقاد فى الفصل بين المحاورة السقراطية والمحاورة الأفلاطونية، أن الأولى لاتنتهى الى نتيجة حاسمة ، وانما تظل المناقشة مفتوحة الأبواب . الحق أن المنهج السقراطى باعتباره الطريق الفلسفى لايمكن أن يصل الى نتيجة ، وانما يستمر فى البحث حتى آخر حياة المفكر ، ولا يزال المفكرون منذ سقراط الى الوقت الحاضر يقلبون الأنظار فى هذه المسائل الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والجمالية .

على هذا الأساس اعتبر المؤرخون محاورات هبياس ، وايوان ، وخرميدس ، ولاخس ، وليسيس وجورجياس ، وبروتاجوراس ، وأطيفرون، والدفاع وأقريطون ، من المحاورات السقراطية . ولم يعدوا فيدون كذلك . غير أن القدماء رتبوا المحاورات ترتيبا آخر ، فجمعوا كل أربع منها بحسب موضوع متقارب فى «رابوع» ، وأول هذه المجموعات أوطيفرون والدفاع وأقريطون وفيدون ، وهى تدور حول اتهام سقراط بانكار الآلهة ، ودفاعه عن نفسه فى المحكمة ، وسجنه ورفضه الهرب وفى معنى الشجاعة ، ثم فيدون وتبحث فى خلود النفس .

ولما كان أرسطو قد اعتبر أن فلسفة سقراط تدور حول أمرين ، طلب الحد الكلى ، وأن الفضيلة علم ، فجدير بنا النظر فى هذين الأمرين ، بالاضافة الى محاكمته لأهميتها فلسفيا .

والحد هو التعريف . والأصل فى الحد أنه يضع نهاية حول شىء معين فلا يكون هذا الشىء مبهما غامضا ، ومن أجل ذلك سمى الحد تعريفا ، وليس المقصود بالتحديد وضع حدود رياضية كالخطوط أو الدوائر التى تبين معالم الأشياء المادية بل التحديد الذهنى للمعانى . فنحن نستخدم فى حديثنا ألفاظا كثيرة ، تشير الى مسميات ، ولها دلالات ذهنيه . والأصل أننا ندرك الأشياء الحسية فيكون لها صورة ذهنية موازية للكائن الحسى الموجود خارج الذهن ، ولكن الانسان بعد أن تحضر وتقدم لم يقف عند ادراك المحسوسات بل ارتفع الى المعانى الكلية التى يصف بعضها الأنواع والأجناس للموجودات الطبيعية مثل الانسان والفرس والطائر وغير ذلك ، ويصف بعضها الآخر معان مجردة ، وبخاصة المعانى الخلقية ، كالعفة والشجاعة والصداقة وغير ذلك . ولكن تحديد الكائنات الطبيعية ، أو الرياضية ، أمر سهل ، لأن الصفات المحددة للنوع واضحة المعالم . خذ مثالا لذلك لفظ « المثلث » فهو « معنى كلى » ينطبق على آلاف بل ملايين المثلثات . وبحكم تعريف المثلث من أنه : سطح مستو محوط بثلاثة أضلاع لانجد عسرا فى تطبيق هذا التعريف على الأشكال الهندسية ومعرفة ماينطبق عليها . ولوضوح الأمور الرياضية ضرب بها المثل دائما ، وبخاصة فى الزمن القديم عند اليونانيين ، وبوجه أخص عند سقراط وأفلاطون . وهل يغيب عن بالنا أن أفلاطون كتب

على باب مدرسته : من لم يكن مهندسا فلا يدخل يدخل علينا ؟

وقد ورث سقراط وأفلاطون الفلسفة الرياضية عن الفيثاغوريين ، الذين كانوا يتداولون مذهبهم سرا ، لايبيحونه لأحد ، وبخاصة العلم الرياضى ، وكان سقراط من جملة هذه الحلقة الفيثاغورية السرية ، ففى افتتاح محاورة فيدون ، وهى المحاورة التى تصف كيف تجرع سقراط السم تنفيذا لحكم الاعدام ، نجد كثيرا من أصدقائه كانوا حاضرين منهم أثينيون ومنهم غرباء عن أثينا ، وكلهم فيثاغوريون . فمن أثينا حضر أبولودورس ، وكرثيوبولس ، وأقريطون ، وهرموجينس ، وابيجينس ، وايخينس ، وأنتستينس ، ومنيكسينوس ولم يكن أفلاطون موجودا لأنه كان مريضا . وحضر من الأغراب عن أثينا سمياس ، وسيبيس ، وأقليدس الميجارى . وكان أرستبوس غائبا . هؤلاء جميعا ذكرت أسماؤهم ساعة وفاة سقراط ليعلم تلاميذه وحواريوه . أما أنهم فيثاغوريون ، فقد جاء فى نفس المحاورة بعد قليل أن سيبيس سأل سقراط عن الانتحار لم كان حراما ؟ وعن الفيلسوف لماذا ينبغى أن يطلب الموت ؟ فأجاب سقراط بأن فيلولاوس هو الذى رأى أن الانتحار غير مشروع ، وأنه كان يحدث بذلك فى مدينة طيبة ، كما كان يتحدث بذلك المذهب الذى « جرت به الألسنة فى الخفاء من أن الانسان سجين ، وليس له الحق فى أن يفتح باب سجنه ليفر هاربا » ونحن نعلم أن فيلولاوس أكبر دعاة المذهب الفيثاغورى ، وأن أفلاطون اشترى منه كتابا فى العلم الرياضى ، على أساسه أذاع ذلك العلم .

الذى لاشك فيه أن سقراط تعلم الفلسفة الرياضية عن الفيثاغوريين ، وأراد أن يطبقها على الأمور الانسانية ، محاولا الوصول الى تعريف للمفهومات الأخلاقية والسياسية والدينيه والفنية حتى يبلغ حقيقة مايبحث فيه ، أو يبلغ « الماهية »

تبحث محاورة هبياس الكبرى فى الجمال ما هو ، على حين تبحث هبياس الصغرى فى الحق والباطل وقد اختلف النقاد فى صحتهما ، والأرجح أن الكبرى صحيحة النسبة لسقراط . ويعد هبياس مثالا للسفسطائى ، فهو غريب عن أثينا من مدينة «اليس» ، حسن المظهر ، يجيد صناعة البيان ، كما يجيد كثيرا من الصناعات الأخرى . انه ماهر بكل شىء . يسأله سقراط عن الجميل ماهو ، وهذه اللفظة فى اللغة اليونانية تصف الشىء المادى والمعنوى معا . فنحن نسمى فعلا مامن أفعال الشجاعة أنه فعل «جميل» ، وكذلك الفعل العادل نسميه جميلا ، ففى الحالين توجد « صورة » واحدة تنطبق عليهما معا . اذن ما هى هذه الصورة الجميلة التى تعد الماهية الحقيقية لما نسميه الجمال ؟ • يجيب هبياس الفتاة الجميلة ، والفرس الجميلة والآلة الموسيقية ، والآنية وغير ذلك • ولكن الفتاة الجميلة ، فان جمالها نسبى وليس مطلقا وذلك بالاضافة الى جمال الآلهة . يقول هبياس ان كل شىء « ذهبى » جميل ، ولكن سقراط يعترض بأن الملعقة الذهبية لا تناسب شرب الحساء الساخن ، بل الملعقة الخشبية ، وكذلك فان فيدياس لم يصنع تماثيله من الذهب ، وهو الفنان الأصيل •

فالجميل اذن هو المناسب أو الملائم • وينتقل البحث بعد ذلك الى المجال الأخلاقى ، فمن الجميل أن يعيش المرء فى صحة ، وثروة ، وشرف ، وأن يدفن أبويه بما يليق بهما . غير أن هذه الأمثلة كلها لا تحدد التعريف الصحيح الجامع المانع . الحق أن الدرس الذى نستخلصه من هذه المحاورة

وغيرها من المحاورات السقراطية ، هو كيفية امتحان التعريف ومحاولة الوصول اليه .

وليس الأمر كذلك فى التعاريف الرياضية . فالمساواة مثلا كما تعرض فى محاورة فيدون لا خلاف عليها ، بل هى فى الواقع بديهية موجودة فى النفس بالفطرة بحيث يستطيع المرء أن يحكم على الأشياء بأنها متساوية فيما بينها بمقتضى « مثال » المساواة فاذا كانت الرياضيات قائمة على البديهيات والمسلمات والتعريفات ، فان المعانى الانسانية ليست كذلك ، ويصعب جدا الوصول الى تعريف متفق عليه بشأنها ، بحيث ينطبق على جميع الأحوال . وهذا الطريق هو الذى سار فيه سقراط ، محاولا أن ينتهى فيه الى غاية الشوط .

ومن المحاورات السقراطية ثلاث تبحث معا عادة ، لتقاربها فى الموضوع وهى خرميدس ولاخس وليسيس . ومن المعروف أن المحاورات تتخذ اسمها من الشخصية الرئيسية فى المحاورة . فالأولى تنسب الى خرميدس ، خال أفلاطون ، وأحد نبلاء أثينا . وهو ابن غلوكون ، وشقيق فارقطيونى أم أفلاطون . وشخصيات المحاورة أربع هم خرميدس وكريتياس وشريفون وسقراط . أما شريفون وهو أحد تلامذة سقراط المخلصين فلا يكاد يظهر فى افتتاح المحاورة حتى يختفى . وأما كريتياس فهو ارستقراطى مشهور كثيرا ما كان يستقبل فى بيته كبار السفسطائيين ، ولعب دورا فى سياسة أثينا ، وكان شقيق غلوكون ، وابن عم خرميدس الذى يمثل فى هذه المحاورة الشخصية الرئيسية . وموضوع المحاورة تعريف الفضيلة التى اشتهرت فى اليونان باسم « سفروسونى » والتى تدل على معان كثيرة منها العفة ، أو ضبط النفس ، أو الاعتدال ، أو الحكمة . وكان خرميدس مثالا للأثينى الذى ينطبق عليه وصفهم له بأنه «سفرون أى الشاب الهادىء النفس ، المطمئن ، المتزن ، المعتدل ، العفيف ، ولذلك حاوره سقراط ليعرف ما هذه الصفة وما طبيعتها ، وقدمت لها بضعة تعريفات نوقشت واستبعدت . يقول سقراط لخرميدس انه من الواضح اذا كان يملك فضيلة العفة فلابد أنه يتصورها وعنده عنها مفهوم معين. قال خرميدس ان العفة أن يظهر المرء وقارا هادئا فى كل أفعاله ، فى مشيته وحديثه وجميع سلوكه وعلى الجملة تتلخص العفة فى البعد عن التهور والتسرع . وبعد مناقشة هذا التعريف وجد أن التسرع مطلوب فى أمور كثيرة وأن البطء كالتسرع مذموم . وعندئذ أعطى تعريف ثان هو أن العفة تحمل المرء أن يحمر وجهه خجلا من أمور معينة وأن تشعر النفس بهذا الخجل . وبعد مناقشة هذا التعريف استبعد ، وقدم تعريف ثالث أن العفة عبارة عن أن يفعل المرء ما يعنيه . ويقترح كريتياس تعريفا جديدا هو : أن العفة أن يعرف الانسان نفسه وهنا تقترب بعض الشىء من مذهب سقراط الذى تدور فلسفته حوله ، نعنى معرفة النفس .

وقد جرت عادة بعض المؤرخين أن يقسموا المحاورات السقراطية قسمين ، الصغيرة من مثل هبياس الكبرى والصغرى وايون ومنكسنيوس وخرميدس وليسيس ، ثم المحاورات السقراطية الكبيرة ، يقصدون بها المعبرة عن مذهبه ، وهى جورجياس ومينون وأوطيفرون والدفاع وأقريطون ويضيف بعض المؤرخين الكتب الثلاثة الأولى من الجمهورية وهى الباحثة فى معنى العدالة مهما يكن من شىء فالخلاف حول تحديد المحاورات السقراطية والأفلاطونية شديد ، يكفى أننا عرضنا الآن نموذجا

منه . ولن نتمكن من عرض كل هذه المحاورات ونكتفى بالحديث عن بعضها .

محاورة جورجياس من أطول المحاورات وأهمها . وجورجياس سوفسطانى مشهور، وخطيب ذائع الصيت ، أصله من ليونتينى وذهب الى أثينا واكتسب ثروة كبيرة من صناعة الخطابة . وحيث ان سقراط كان يعارض السفسطائيين ، فلا جرم تعد هذه المحاورة من أهم المحاورات لأنها توضح بين فلسفتين ، احداهما تقوم على العدل والحق والعقل ، والأخرى تستند الى القوة . وهذان المبدآن موجودان منذ أن وجد الانسان ، بل ان الانسانية الحقة هى السمو على شريعة الغاب وعلى سلاح القوة كما يسود الجماعاتالحيوانية فلما سما الحيوان الناطق على حيوانيته ، ابتكر صفات انسانية جديدة كالعدل ، والحكمة ، والحق وهى معان تحقق للانسان انسانيته بمعنى الكلمة وهذا ما فعله سقراط ودافع عنه .

جاء جورجياس الى أثينا يحمل معه اسلوبا جديدا فى الحياة هو فرض ارادة القوة ، وفى المدينة تتجلى هذه القوة فى الخطابة ، والخطابة هى فن الاقناع . ونهض سقراط يدافع عن أسلوب آخر هو طلب الخير لذاته ، الذى يخضع للعدل والاعتدال ، لا للقوة وشريعة الغاب ، فالقوة هى الخير الأسمى . ومن هنا كان السلاح الذى ينبغى أن يتسلح به حاكم المدينة ليسيطر على اتباعه ويخضع خصومه هو القوة ، وقوة الاقناع بوجه خاص . وليس من المهم الوصول الى الحق فى ذاته بمقدار ما يصل الخطيب الى اقناع الجمهور بأن ما يقوله هو الحق . ينبغى اذن أن يحسن الخطيب استخدام الأسلحة التى تفيده فى تحقيق أغراضه والرجل القوى هو الذى يعرف كيف يسوس المدينة . ولكن لكى يبلغ الحاكم السلطان على الجماهير ، ينبغى أن يكون صاحب سلطان على نفسه أولا ، فالقوة الحقيقية هى كبح جماحالنفس أو أن يسيطر عليها ويحسن توجيهها .

لم يكن جورجياس مموها يبغى التزييف والمغالطة ، كما انتهت اليه السفسطة فيما بعد ، وانما كان مؤمنا بمذهب معين ، وأسلوب فى الحياة يؤمن به ، هو أن حياة الانسان تتوقف على ارادته وكفاحه ، والقوى هو الأصلح للحياة، وهذا المذهب كان موجودا من قديم وتجدد على أيدى فلاسفة القرن التاسع عشر مثل نيتشه وشوبنهور . وفى مقابل حياة الكفاح والعمل والارادة ، يقف سقراط فى الجانب الآخر وهو الحياة الفلسفية التى تعتمد على العقل والحكمة والاعتدال ، على حين تستند الحياة التى ينادى بها جورجياس الى السعى وطلب اللذة .

وقد كانت نظرية جورجياس سائدة فى أثينا ، يأخذ بها كثير من الناس ، حتى انه فى أول الجمهورية عند تعريف العدالة نجد من جملة التعريفات أن العدالة هى مصلحة الأقوى . ولكن سقراط يرفض هذا التعريف ، كما يرفض تعريفات أخرى ، ثم يمضى أفلاطون بعد ذلكفيحل مشكلة العدل فى نظرية شاملة للمجتمع بأسره ، وذلك فى باقى أجزاء محاورة الجمهورية ، ويعدل أفلاطون أيضاعن نظريته التىبسطها فىالجمهورية والتى كانت توفر العدل بوحى من الضمير الحى والتربية والتعليم ووضع كل امرىء فى مكانه الصحيح من المجتمع ، الى المناداة بنظرية جديدة فى محاورة القوانين ، تستند الى وجوب احترام القانون .

وفى القدر الذى ذكرناه عن محاولة سقراط

بلوغ الحد الكلى ومناقشة التعريفات للمعانى الأخلاقية والسياسية والاجتماعية كفاية . وننتقل الى الموضوع الثانى الذى وصف به أرسطو فلسفة سقراط ، وهو نظريته الأخلاقية .

الفضيلة علم ، والرذيلة جهل ، هذه هى نظرية سقراط .

لو علم الانسان ماهية الفضيلة ، فلا شك سيعمل بها ، ولو علم ماهية الرذيلة فلا جرم يتجنبها . وانما سادت الرذائل لجهل الناس بها وحقيقتها . ويكفى أن يكون المرء عالما بالفضائل والرذائل العلم الصحيح حتى يقبل على الفضائل ويتجنب الرذائل .

ويترتب على ذلك عدة أمور ، على رأسها وجوب البحث عن الفضائل ومعرفتها ، وهذا ما فعله سقراط ، وتجلى فى المحاورات . وكذلك النظر فى الفضائل هل اذا كانت علما يمكن تعليمها كما تعلم الحرف والصناعات . ثم بعد ذلك هل الفضيلة جنس واحد له وجوه مختلفة ، أم هناك فضائل مختلفة كل منها يباين الفضيلة الأخرى .

لقد اعترض على سقراط اعتراضات لها وجاهتها منذ القديم حتى الآن فيما يختص بنظريته الأخلاقية من التوحيد بين الفضيلة والعلم . وكان من أعظم المعترضين على ذلك أرسطو ، الذى أقام اعتراضه على أساس اغفال سقراط عنصر الارادة ، والسلوك الخلقى لا شك يقوم على دافع من الارادة بحكم أنه ضرب من العمل لا من التفكير النظرى . وهذه التفرقة بين النظروالعمل، هى التى على أساسها قسم أرسطو الفلسفة الى نظرية وعملية ، الأولى تبحث فى الرياضيات والطبيعيات والميتافيزيقا ، والثانية تبحث فى الأخلاق والسياسة .

ومن الاعتراضات التى وجهها أرسطو أيضا أن سقراط أغفل الجانب غير العاقل فى الانسان ، وذلك عندما ذهب الى أن الفضيلة علم ، فضرب صفحا عن الشهوة وعن السلوك الخلقى . أما أفلاطون فقد قسم النفس فيما بعد الى جزءين العاقل وغير العاقل ، وكان فى ذلك على حق .

ونقد ثالث لأرسطو على نظرية سقراط ، أننا لا نملك أن نكون أخيارا أو أشرارا ، لأننا اذا سألنا أحدا أيريد أن يكون عادلا أم ظالما ، فلاأحد يختار الظلم ، وكذلك الحال فى الشجاعة والجبن والفضائل الأخرى . ويترتب على ذلك أن الناس اذا كانوا أشرارا فليس ذلك ثمرة ارادتهم واختيارهم ، واذا كان ذلك كذلك ، فليس فى مقدور البشر أن يكونوا أخيارا ، ولا كان ذلك نتيجة ارادتهم ، كما يقول أرسطو . ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن الفاضل يولد كذلك والشرير كذلك ، ولا فضل للانسان فى أن يكون برا أو فاجرا . وما دام الأمر كذلك انهدمت الأخلاق ، لأن السلوك يصبح مفروضا ، والانسان مجبورا ، وتنعدم بذلك الحرية وما يتبعها من مسئولية .

ونقد رابع أن سقراط يذهب الى أن العلم بالفضيلة غاية ، فراح يتساءل عن العدل ما هو وعن الشجاعة ما هى ، وكذلك عن سائر الفضائل، مقيما ذلك على أساس أن الفضائل صور من المعرفة ، بحيث يكون العلم بالعدل ، وكون المرء عادلا ، شيئا واحدا . وهذا ان صح فى العلوم النظرية كالهندسة مثلا أو العلم الطبيعى،فلا يصح فى العلوم العملية التى تنفصل الغاية فيها عن ماهيتها ، كما تنفصل الصحة عن علم الطب . فأن يكون الانسان عالما بالطب شىء يختلف عن أن

يكون صحيح الجسم ، وأن يكون عالما بالعدل خلاف أن يكون عادلا .

هذه هى جملة الانتقادات الأرسطية ، وهى انتقادات قاسية ولاشك ، ولكن سقراط لم يكن فى الواقع صاحب مذهب بمقدار ما كان صاحب منهج ، كل ما فى الأمر أنه كان يفتح أعين المفكرين على الموضوع ليبحثوا ويتناقشوا دون أن يقبلوا المسائل قضايا مسلمة . وفى أمر الأخلاق حاول سقراط أن يصل الى معرفة الفضائل ما هى ، اذ لاشك أن المعرفة فى ذاتها استنارة ، تضىء للمرء الطريق الذى يسيرفيه. فما الطريق الصحيح المستند الى العلم والمعرفة للعدل أوالشجاعة أوالعفة وغير ذلك . فأنت ترغب أن تكون عادلا لا ظالما ، شجاعا لا جبانا ، وكل انسان يرغب فى ذلك ، ولا يمكن أن يكون الطريق الذى يسلكه الانسان على غير هدى ، أو طريقا موروثا مجبورا عليه . واذا كان سقراط قد بحث فى جانب واحد ، هو جانب « معرفة » ماهية الفضيلة ، فليس معنى أنه أغفل جانب الارادة والحرية ، كما يتهمه أرسطو ، بل انه لم يتسع له الوقت لبحثها ، كما أنه لم يكن فيلسوفا صاحب مذهب منظم . وهذا هو السر فى أن تلاميذه اختلفوا اختلافا كبيرا فى تأويل مذهبه، وفى الخروج فى الأخلاق بخاصة بنظريات متعارضة.

توجد تعاليم سقراط الأخلاقية فى معظم محاوراته ، وبأشكال مختلفة . ففى محاورة مينون بحث عن الفضيلة فى ذاتها . وشخصيات المحاورة قليلة : سقراط ، وأنيتوس أحد أثرياء أثينا وممن وجهوا اليه الاتهام عند محاكمته ، ثم مينون جندى من المرتزقة اشترك مع زينوفون فى حملة العشرة الآلاف ومات فى تلك الحملة ، وأخيرا عبد لمينون . وقد قيل ان موضوع المحاورة هو « التذكر » أى أن العلم تذكر والجهل نسيان ، باعتبار أن الانسان كان يعيش فى عالم المثل ، واطلعت نفسه على كل المعارف ، فاذا شاهد المرء كائنا جزئيا تذكر ما كان يعرفه فى ذلك العالم . وآية ذلك أن خادم مينون استطاع أن يصل بنفسه، ودون معلم ، أن يعرف بعض الحقائق الرياضية بعد أسئلة سقراط . ولكن المحاورة تبدأ بداية أخرى لا تؤذن بنظرية التذكر فى المعرفة ، بل بالفضيلة وصلتها بالعلم . ذلك أن مينون يبدأ بسؤال سقراط هل تكتسب الفضيلة بالتعلم أم بالممارسة ، وان لم تكن تعلما ولا ممارسة ، فهل تحصل للانسان بالطبيعة أم بطريق آخر ؟ فالفضيلة فى ذاتها ، أو ماهية الفضيلة ، فى نظر مينون هى القدرة على حكم الناس . ولكن هذا التعريف لا يصلح لأن الحاكم الظالم ليس فاضلا ، الى جانب أن التعريف المذكور ليس سوى تعريفا للفضيلة السياسية لا لماهية الفضيلة فى ذاتها . فلما عرفت الفضيلة بأنها الرغبة فى الحصول على الأشياء الخيرة ، كان لابد من تقييد هذا التعريف بشروط تجعله مقبولا وعاما . واذا أمكن تعليم الفضيلة فلابد أن تكون علما ، كغيرها من العلوم.

فاذا انتقلنا الى محاورة بروتاجوراس مثلا وجدنا البحث نفسه عن الفضيلة ما هى وهل يمكن تعليمها ، فى مناقشة بديعة مع بروتاجوراس السفسطائى الكبير الذى وفد الى أثينا، ونزل فى بيت كالياس الثرى الذى أنفق من ماله على السفسطائيين أكثر من أى شخص آخر ، كما ورد فى محاورة الدفاع ، والتقابل بين سقراط وبين السفسطائيين أشد وضوحا فى هذه المحاورة فيما يختص بالنظرية السقراطية عن الأخلاق ، نعنى أن الفضائل كلها علم . ويبدو أن أرسطو حين يتحدث

عن هذه النظرية فى كتاب الأخلاق النيقوماخية انما يشير الى هذه المحاورة بالذات .

ربط سقراط فى نظريته بين أمرين ، الأول أن الفضيلة علم ، والثانى أنها يمكن تعليمها مادامت علما . فاذا أثبت كذب القضية الأولى ، ثبت تبعا لذلك كذب القضية الثانية . فقد جاء بروتاجوراس يعلم الفضيلة السياسية لشباب أثينا ، وهذه الفضيلة هى صناعة الخطابة ،واعترف بروتاجوراس بأن الحقائق نسبية ، وأنه لا علم ، فهدم بذلك امكان التعليم . على حين أن سقراط ينتهى بأن العدل والعفة والشجاعة علوم ، ومع ذلك يقرر أنها لا يمكن أن تعلم . ولكن زعمه هذا فى المحاورة من قبيل التهكم والسخرية ، فقد كان يقول عن نفسه انه لا يعرف شيئا ، وانه لايعلم غيره ، بل يولد المعرفة من النفس بالأسئلة .

بقى أن نبحث المحاورات الثلاث التىتعد ذروة المأساة السقراطية ، اتهامه ودفاعه عن نفسه وامتناعه عن الهرب من السجن ، وهى المعروفة باسم أوطيفرون والدفاع وأقريطون . وقد جرت العادة أن يضاف اليها محاورة رابعة هى فيدون تبحث فى خلود النفس ، ولكن كثيرا من النقاد يعتبرها محاورة افلاطونية لاسقراطية ، ولو أنهمن العسير فصلها عن الثلاث الأولى ، من جهة أنها تكملة طبيعية لهذه المأساة .

يلتقى سقراط بأوطيفرون فى دهليز المحكمة ، حيث جاء أوطيفرون يتهم أباه بالقتل ، وجاء سقراط ليدفع عن نفسه تهمة الالحاد وافساد الشباب ويدور البحث فى هذه المحاورة حول الدين ما هو ، وما طبيعته ، وما الالحاد ، وما التقوى ، وما الفجور . وللمحاورة صلة قوية بالأخلاق لأن الرجل الصالح هو الذى يفعل ما يرضى الآلهة . وهنا تدخل المحاورة فى بحث الدين والآلهة اليونانية ، وهل ينبغى أن نصدق ما يروى عنهم من أساطير . وتدور مناقشة حول التقوى ، فيسأل سقراط على طريقته التهكمية ويجيب أوطيفرون ، وتتعدد الاجابات . الجواب الأول أن التقوى أن يصنع المرء كما فعلأوطيفرون بأن يتهم أباه بالقتل ، وكما نجد فى أساطير الآلهة أنفسهم . والجواب الثانى أن التقوى . هى فعل ما يحبه الآلهة ، والفجورفعل ما يبغضونه ولا يرضون عنه . غير أنه لما كان الآلهة مختلفين فيما بينهم ،فقد يسخط بعضهم عن أمر ، ويرضى بعضهم الآخر عنه ، وبذلك لا يكون التعريف صحيحا . وعندئذ يجرى تعديل للتعريف بحيث ينص على اجماع الآلهة على حب الشىء ، وهذه هى التقوى . ويتضح تناقض هذا التعريف على أساس وجود مرحلتين للتقوى ، الأولى محبة الآلهة للشىء ، والثانية ان يكون مقدسا لديهم . فهل يحب الآلهة الشىء لأنه مقدس ، أم يقدسونه ومنأجل ذلك يحبونه .بعبارة أخرى هل التقوى فعل ما يحبه الآلهة أميقدسونه؟

تنتقل المحاورة بعد ذلك الى شىء من السخرية والفكاهة ، حين يسلم أوطيفرون أن كل تقى عادل، وينكر أن كل عادل تقى ، ثم يسأل عن أى أجزاء العدل هى التقوى ، فيجيب بأنها خدمة الآلهة، وذلك بتقديم القرابين واقامة الصلوات ، بعبارة أخرى ، التقوى علم الأخذ والعطاء ، انها لون من « التجارة » بين الناس والآلهة ، فالناس يقدمون الصلوات والقرابين للآلهة ، ويأخذون فى مقابلذلك رضاهم . لا شك أن مناقشة سقراط تنتهى الى زعزعة الثقة بالأفكار السائدة عن الدين وعنالآلهة ومن هنا جزع أصحاب السلطان الدولة على انهيار

الأسس التى يقوم عليها المجتمع ، والدين أساس مهم جدا ودعامة قوية لاستمرار الجماعة .

اتهم سقراط بتهم ثلاث ، انكار آلهة اليونان ، والمناداة بآلهة جديدة ، وافساد الشباب . وليس دفاع سقراط أمام القضاة من اختراع أفلاطون فان زينوفون يتحدث فى مذكراته عن هذا الدفاع ، ولكن المحاورة الأفلاطونية فيها صبغة فن أفلاطون، وتعد من أقدم ما كتبه . وقد صور فيها سقراط، فيلسوفا متهكما ، ساخرا ، حتى فى هذا الموقف الذى يوشك فيه أن يحكم عليه بالاعدام . وكان القضاة على استعداد أن يصدروا حكمهم بالعفو ، لو أن سقراط تذلل لهم ، وأظهر الندم ، ولكنه لم يبال وهو فى سن الشيخوخة أن يخون عهد الفلسفة ، وهى طلب الحقيقة ، واعلان الحق ، والجرأة فى اعلان الرأى ، والصراحة فى ابداء ما يؤمن به المرء ويعتقده ، لأن المداهنة والرياء مدعاة الى افساد الدولة ، والتعامى عن الحقيقة بعد عن رقى الانسانية . وكان سقراط يعتقد فى نفسه أنه مكلف برسالة الهية عليه أن يبلغها للناس ،مثله فى ذلك مثل الأنبياء والرسل . وبالفعل صور سقراط فى محاورات أخرى أنه يستمع الى هاتف باطنى يتلقى منه ما يشبه الوحى السماوى .ولذلك انبرى يكذب فى دفاعه ما شاع عنه من تهمة هو منها براء ، ذلك أن شريفون أحد تلامذته المخلصين ذهب الى كاهنة معبد دلفى وسألها من أحكم رجل فى أثينا ، فأجابته انه سقراط . ولكن سقراط بأسلوبه الساخر نفى عن نفسه أن يكون حكيما لأن الحكمة صفة من صفات الآلهة ، أما هو فانه مؤثر للحكمة فقط وصديق لها ، وهذا هو معنى الفيلسوف فى اللغة اليونانية ، فان « سوفوس » تدل على الحكيم ، على حين أن « فيلوسوفوس » تعنى محب الحكمة . فالآلهة حكماء ، أما البشر فانهم مهما تبلغ معرفتهم فلن يبلغوا مرتبة الآلهة .

لقد قيل فى معرض الاتهام ان سقراط يعلم شباب أثينا أن الشمس والقمر قطعتين من حجر، وليسا الهين كما يعتقد الاثينيون . ويجيب سقراط ان هذه المقالة تنسب الى انكساجوراس ، دونها فى كتابه ، وكان انكساجوراس يعيش فى بلاط بركليس ، وكان بركليس يحميه بنفوذه وسلطانه ، ومع ذلك هرب أنكساجوراس من أثينا ، ويقال ان بركليس سهل له سبيل الهرب حتى لا يحاكم وينفذ فيه حكم الاعدام .

رفض سقراط استرحام القضاة ، ورفض أن يتقدم بعض تلاميذه بدفع غرامة عنه بدلا من الحكم بالاعدام ، وأقبل على الموت راضيا ، لأن الفيلسوف هو الذى يطلب الموت ليخلد فى الآخرة ، ولكى تتخلص النفس من سجن البدن ، وتنعم بالمعرفة فى عالم المثل .

والفصل الثالث فى مأساة المحاكمة ، هو وضع سقراط فى السجن حتى تحين ساعة تنفيذ الحكم ، حيث بقى حول شهر حتى تعود السفينة المقدسة من رحلتها الى معبد ديلوس ، وهو شهر حرام لا يعدم فيه مجرم . وجاء أقريطون قبل الفجر يغرى سقراط بالهرب من السجن . غير أنه رفض الهرب ، اذ فى نظره أن الخضوع لقوانين الدولة حتى لو كانت ظالمة أفضل من الهرب منها انقاذا لمصلحة الفرد . لقد عاش سقراط طيلة حياته ينادى باصلاح الدولة ، وايثار مصلحتها على صالح الفرد ، وتمجيد القوانين التى بها تستقر الأمور فى المجتمع ، والدعوة الى احترام القانون واتباع

النظام ، وبهما يتوفر العدل . ذلك أن الخير والشر هما فى الواقع أمران نسبيان بالاضافة للمجتمع، فالخير خير اذا عادت فائدته على المجتمع ، وتعود فائدته فترجع على الفرد ، والشر شر اذا أساء الى المجتمع وعندئذ يصاب الفرد بالضرر . وهذه هى النظريه التى نماها أفلاطون فى الجمهورية ، حين أجاب على السؤال الذى بدأه فى تلك المحاورة عن العدالة ما هى ، فجاء الجواب بأن الدولة لها ينبغى اصلاحها بجميع أجزائها ، وأن يوضع كل فرد الموضع اللائق به . فالعدالة لا تتحقق فرديا بل اجتماعيا ، ولذلك سميت جمهورية أفلاطون بأنها شيوعية ، أو اشتراكية والحق ان أفلاطون هو المبشر الأول بالشيوعية من قديم ، بتقديم مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد .

ولو أن سقراط قبل الهرب لكان موقفه متعارضا تماما مع فلسفته التى استمر على التبشير بها واذاعتها فى تلاميذه . وكيف يهرب وقد رفض فى المحكمة أن يخضع لشتى الاغراءات التى قدمت له لتفادى الحكم المحتوم . ومن هذا يتضح أن فلسفته تتلخص فى انقاذ المدينة من الفساد ، والابقاء عليها خشية الانهيار . وقد ارتفع شأن أثينا فى زمانها ، وبقيت خالدة على مر العصور ، بتمسكها بهذه التعاليم التى نادى بها سقراط ، من حرية ابداء الرأى ، والدعوة الى الديمقراطية فى مقابل حكومة الطغيان والاستبداد ، والدعوة الى الفضيلة والخير ، لأن الأخلاق الفاضلة هى الأساس الذى ينبغى أن تقوم عليه الدولة .

وقد كانت محاكمة سقراط ، ودفاعه عن نفسه، وامتناعه عن الهرب ، وموته ، كل ذلك مثالا حيا على التفانى فى سبيل العقيدة الفلسفية الصحيحة .

مقتطفات

١ ــ التقوى والفجور

سقراط : وما التقوى وما الفجور ؟

اوطيفرون : التقوى ان تفعل ما انا فاعل ، أعنى ان تقيم الدعوى على كل من يقترف جريمة القتل او الزندقة أو ما الى ذلك من الجرائم ، سواء أكان أباك أم أمك ام كائنا من كان ، فذلك لا يبدل من الأمر شيئا . وأما الفجور فهو ألا تقيم على هؤلاء الدعوى . وأرجو أن ترى ياسقراط الدليل الساطع الذى أقيمه لك على صدق ماأقول، وهو دليل سقته بالفعل الى سائر الناس برهانا على مبدا أن الفاجر لا ينبغى أن ينجو من العقاب كائنا من يكون . ألا ترى الى الناس كيف يعدون زيوس أفضل الآلهة وأقدمهم مع اعترافهم بأنه كبل سلفه كرونوس لأنه مزق أبناءه تمزيقا مروعا. بل انهم ليقرون أنه أنزل العقاب بأبيه نفسه أورانوس لسبب شبيه بهذا عقابا يفوق الوصف ، ثم يغضبون منى اذا أنا أقمت الدعوى على أبى . وهكذا ترى الناس يتناقضون فى موقفهم ازاء الآلهة وازائى .

(محاورة أوطيفرون)

٢ ــ الهاتف الباطنى

قد يعجب بعضكم لماذا أطوف بالناس سرا فأسدى اليهم النصح واشتغل بأمورهم ولا أجرؤ أن أتقدم بالنصح الى الدولة جهرا.واليكم سبب هذا :

كثيرا ما سمعتونى مرارا كثيرة وفى أماكن شتى عن وحى أو علامة يأتينى ، وهى الالاهةالتى يسخر منها بيليتس فى دعواه . وقد لازمنى ذلك

أنوحي منذ طفولتي ، وهو عبارة عن صوت يطوف بي فينهاني عن اداء ما أكون قد اعتزمت على ادائه، ولكنه لا يأمرني بعمل ايجابي . وذلك ما حال دون اشتغالي بالسياسة . واخال ذلك آمن الطرق فلست أنسك ايها الاثينيون ، في أني لو ساهمت في السياسه للاقيت منيتي منذ آمد بعيد ، وما قدمت لكم أو لنفسي خيرا . وأرجو ألا يؤلمكم الحق ان انباتكم به . فالحق أنه يستحيل على من ينزل معكم في ساحة الوغى أو أي فئة أخرى ، مقاوما فساد الأخلاق وما يجرى في الدولة من أعمال ظالمة أن ينجو بحياته . ذلك أن من يناضل في سبيل الحق ، ان قدر له أن يعيش فترة قصيرة من الزمن ، فلابد أن يشغل منصبا خاصا لا عاما.

وان شئتم برهانا مقنعا على ما أقول ، فلن أقدم ألفاظا فقط ، بل أفعالا ، وهي أقوى حجة من الألفاظ . ولتأذنوا لي أن أقص عليكم طرفا من حياتي الخاصة ينهض دليلا على أنني لم أخضع قط لظلم خشية الموت ،حتى لو وثقت بأن العصيان سيعقب من فوره موتا محققا . سأقص عليكم قصة قد تشوقكم أو لا تشوقكم ، ولكنها مع ذلك حق. ان المنصب الوحيد الذى شغلته في الدولة هو عضوية مجلس الشيوخ . وكانت رياسة المجلس عند محاكمة القادة الذين لم ينقذوا جثث القتلى عقب موقعة أرجينس ، لقبيلة أنتيوخس — وهي قبيلتي — فرأيتم أن تحاكموهم جميعا . وكان ذلك منافيا للقانون كما أدركتم جميعا ذلك فيما بعد . ولكنني كنت اذ ذاك وحدى بين أهل بريتان أعارض الافتئات على القانون ، وأعلنت رأيي مخالفا لكم . ولما تهددني الخطباء بالحبس والطرد ، وصحتم جميعا في وجهي ، آثرت التعرض للخطر مدافعا عن القانون والعدل على أن أساهم في الظلم حسبه السجن او الموت . حدث ذلك في عهد الديمقراطيه. فلما تولى زمام الامر الطغاه الثلاثون، ارسلوا الى ، والى اربعه معي ، ولنا تحت السقيفه ، وامرونا ان نسوق اليهم ليون السلامي من بلدة سلاميس لينزلوا به الموت . وذلك مثال لاوامرهم التي اعتادوا اصدارها لكي يشركوا معهم في جرائمهم أكبر عدد من الناس . فبرهنت لهم ، قولا وعملا ، انى لا أحفل بالموت ، وأنه لا يزن عندى قشة ان صح هذا التعبير . وأن كل ما أخشاه هو أن أسلك سلوكا معوجا شائنا . فلم أرهب طغيان تلك العصبة الظالمة ، ولم تضطرني الى ركوب الخطأ . فلما خرجنا من السقيفة حيث كنا ، ذهب الأربعة الآخرون الى سلاميس في طلب ليون ، أما أنا فقد أخذت سمتي نحو الدار في هدوء صامت ، متوقعا فقدان حياتي لقاء ذلك العصيان ، لولا أن دالت دولة الثلاثين بعد ذلك بقليل . وما أكثر من يشهدون بصدق ما أقول .

من محاورة الدفاع

٣ — احترام القوانين

سقراط : أينبغي للانسان أن يفعل ما يراه حقا، أم ينبغي له أن ينقض الحق .

أقريطون : يجب على الانسان أن يفعل مايظنه حقا .

سقراط : ولكن ما تطبيق هذا ان صح ؟ هل أسيء الى أحد ان تركت السجن رغم ارادة الأثينيين ؟ أو بعبارة أخرى ، هل أخطيء في حق أولئك الذين ينبغي أن يكونوا أبعد الناس عن الاساءة ؟ ألا يكون في ذلك هجران للمبادىء التي اعترفنا جميعا بعدالتها ؟ ماذا تقول في هذا ؟

أقريطون : لست أدرى يا سقراط ، فلاأستطيع أن أقول شيئا .

سقراط : اذن فانظر الى الأمر على هـــذا الوجه : هبنى هممت بالأبواق (أو أن شئت قسم هذا الفعل بما أردت من اسماء) فجـــاءت الى القوانين والحكومة تسائلنى : حدثنا يا سقراط ، ماذا أنت فاعل ؟ أتريد بفعلة منك أن تهز كياننا ، أعنى القوانين والدولة بأسرها بمقـدار ما هى فى شخصك ماثلة ؟ هل تتصـــور دولة ليس لأحكام قانونها قوة ، ولا تجد من الأفراد الا نبذا واطراحا أن تقوم قائمتها فلا تندك من أساسها ؟ فبمـــاذا نجيب يا أقريطون عن هذه العبارة وأشـباهها . وسيكون مجال القول متسـعا لـكل انسان ، وللخطيب البليغ بنوع خاص ، عندما يهاجمـون هذا الشر الذى ينجم عن اطراح القانون الذى لابد لحكمه من النفاذ . وربما أجبنـا نحن : « نعم ، ولكن الدولة قد آذتنا ، وجارت علينا فى قضائها » . هبنى قلت هذا .

أقريطون : جميل جدا يا سقراط .

سقراط : سيجيب القانون : « أفكـان ذلك ما قطعته معنا من عهد ، أم كان لزاما عليـك أن تصدع بما حكـمت به الدولة » . فان بدت على علائم الدهشة من قولهم هذا ، فربما أضـــاف القانون قوله : « أجب يا سقراط بدل أن تفتح لنا عينيك وقد عهدناك سائلا ومجيبا . حدثنا : ماشكاتك منا ، تلك التى تسوغ لك محـاولة هدمنا وهدم الدولة معـــا ؟ وفوق كل شى ألم نأت بك الى الوجود ؟ ألم يتزوج أبوك من أمك بعوننا فأعقبك ؟ قل ان كان لديك ما تعترض به على أولئك الذين ينظمون الزواج منا » . وهنا لابد من اجابتى أن لا . « أو على أولئك الذين منا ينظمـون طرائق التغذية والتربية للأطفال وفى ظلها نشـأت أنت . ألم تكن القوانين التى نهضت بهذا على حق عندما طلبت من أبيك أن يدربك على الموسيقى ورياضة البدن » . وهنا يلزم أن أجيب أنهـا كانت على حق . « حسنا فان كنا قد أتينا بك الى العالم ، ثم أطعمناك فأنشأناك ، أفأنت جاحد أنك قبل كل شىء ابننا وعبدنا كما كان آباؤك من قبل ؟ فان صـح هذا فلسنا واياك سواسية ، حتى تظن من حقك أن تفعل بنا ما نحن بك فاعلون . وهل يكـون لك أدنى حق فى أن تنال أباك أو سيدك ، ان كان لك أب أو سيد ، بالضرب أو الشتم أو بغير ذلك من السوء ، اذا وقع عليك منه ضرب أو شتم ، أو أصابك منه غير ذلك من الشر . لا نخـالك قائلا بهذا . واذا كنا قد رأينا أن من الصواب اعدامك ، أفتظن أن من حقك أن تجازينا اعداما باعدام »

(محاورة أقريطون)